محاضرة : الحركات الإسلامية الحديثة في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء

تمهيد :

تميز القرن 13 هجري 19 ميلادي في إفريقيا جنوب الصحراء هي ظهور فكره الجهاد الإسلامي ونشر الدعوة وإصلاح العقيدة الإسلامية وتنقيتها من شوائب وطقوس وثنيه والتطلع إلى إقامة دول وحكومات إسلاميه تحكم المسلمين بموجب الشريعة وتمكين لدين الله.

أولا :أسباب نمو فكره الجهاد بين مسلم يإفريقيا جنوب الصحراء

- انتشار الواسع للبدع والخرافات وامتزاج العقيدة الا سلاميهفي طقوس الوثنية والأفكار لاحيائيه وتقديس الموتى وعبادتهم والتمسح بالقبوروعبادتهم والتمسح بالقبور والتبرك بالأضحة وبناء القباب والتقرب للأولياء والصالحين وتقديم القر ابين لهم والإيمان ببعض الظواهر الطبيعية والشعوذة ،وعمت هذه الظاهرة مساحات شاسعة من القارة الا فريقيهولا سيما جنوب الصحراء.
- انتقال بعض الزعماء وطلبه العلم بالمناطق إفريقيا جنوب الصحراء صوب حواضر ومراكز الثقافة الا سلاميهكالأزهر الشريف بالقاهرة لتلقي العلوم والمعرف ولما عادوا إلى أوطانهم عادوا وكلهم عزم وحماس بنشر الدين الإسلامي وتنقيته مما علق به من أردان
- لعب الحج إلى البقاع ألمقدسه دورا بالغ الأهميهفي تكوين الدعاة والمصلحين وهذا بفضل الاحتكاك والاتصال المباشر إذ كثيرا ما كان حجاج المنطقه يحطّون رحالهم في البقاع ألمقدسه قد تدوم لفترات طويلة، كما كانوا يتوقفون في مصر ايضا فيتعرفون فيها على الحضارة العربية الا سلاميهوما بلغتهم من رقي.
- ظهور وانتشار المراكز الثقافية الإسلامية في منطقه إفريقيا جنوب الصحراء خاصة في غربهاحيث انتشرت على نطاق واسع وزاد نشاط ا ولا سيما في مدينه سوكوتو وحمد الله وكانها لهذه المراكز الفضل الكبير في أناره الطريق لسكان المنطقة وإبراز فكره الجها د في الاسلام وأسمى أنواعه وفضله على المسلمين مثالا لقوله تعالى فضل الله فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجه كلا وعد الله الحسنى فضل المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما
- الطرق الصوفية زاد نمو ونشاط هذه الطرق وشمل انتشارها نطاقا واسعا من إفريقيا جنوب الصحراوي خاصة منطقه السودان الغربي حيث كانت مسرحا للطريقة القادرية والتجانيه والسنوسيه وغيرها قد لعب اتباعه سوف دورا معت برا في نشر الاسلام كما وقفوا فيما بعد في وجه الغ زو والاوروبي الصليبي للمنطقه رافعين راية الجهاد عازمين على استخدام القوه والسلاح لصد زحف الغزاة المنادين بالنفير والعدة مصداقا لقوله تعالى :واعدوا لهم ما استطعتم قوتنا من الرباط الخيل ترغبون به عدو الله وعدوكم

- تبلور الوعي والدعوة للجهاد فقد عمت الدعوة إلى هذه الفريضة جل المناطق الا فريقيه ولم تقتصر على منطقه دون سواها ، بل شملت معظم جهات القارة ونتج عن انتشارها حدوث ثورة جذريه مس ت عمق و مختلف جوانب الحياة السياسيه والثقافية والاجتماعية والدينية، لقد تفاعلت هذه الأسباب وانصهرت في بوتقة واحد هواستغلها الحركات الاصلاحيه والدعوية العديدة ووظفتها أحسن توظيفا فانساقت خلفها الجماهير الشعبية الغفيرة تتطلع من خلالها من تحقيق ما كانت تطمح إليه بتغيير وتسعى إلى تحقيقه من اجل المستقبل الأفضل .

واذا استعرضنا التاريخ سياسي لمنطقه إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرون المتأخرة يتضح لنا جليا ظهور عدد من العلماء والدعاة والزعماء المصلحين الذين أدوا دورا كبيرا في إحياء الدعوة وبعثها ونشر الاسلام بين الوثنيين وتنقيه أذهان الناس من الشوائب والخرافات وصدهم عن ممارسات لا علاقة لها بالإسلام ولم تتوقف جهودهم عند هذا الحد بل راحوا يسعون لتأسيس دو ل وممالك قائمه على أركان الشريعة الاسلاميه السمحة وبالرغم من هذه الإعمال الجليلة والأعباء الشاقة لم تلهيهم في التصدي والوقوف في وجه الاستعمار الأوروبي الصليبي الغاشم الذي داهم البلاد وبذلك نجد التاريخ الإفريقي الحديث حافلا بأسماء دعاه مناضلين ومصلحين مسلمين دوخوا جنرالات وضباط أوروبيين تخرجوا من كبريات المدارس والكليات العسكرية مدعومين بقوات دجاجه بأحداث الاسلح ه الفتاكة وعلى مستوى متقدم من التدريب العسكري أمام زعماء مصلحين سلاحهم الصبر والإيمان بالله والأمة والوطن وما زالت أسماء هذه الزعامات عالقة في أذهان أساطير الفكر والسياسة والعسكرية في أوروبا كاسم عثمان بن فودي والحاج عمر تال وسامري توري ومحمدو لمين ورابح بن فضل الله ومحمد بن عبد الله حسن وماباجا خوبا ،...

ثانيا :نماذج من الحركات الجهادية :

- <u>حركه الشيخ عثمان بن فودي</u> :

ولد هذا المصلح الإفريقي عثمان دان فودي بن صالح بقرية مرت بأرض جمع جالمي من اعمال جوبير ولايه سوكوتو بشمال نيجيريا في29 صفر الموافق ل 17 نوفمبر 1754 ، نشأ عثمان في احضان أسرة علميه توارثت العلم أب عن جد رافق عثمان والده في رحلة إلى مكة المكرمة، حيث تزامن وصوله مع انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية، فأُتيحت له فرصة لمعاينة دعوة الشيخ عن قرب، والتعرّف إلى منهجه في تعليم التوحيد الخالص، ومحاربة البدع، والردّ على أصحاب الأهواء.

كما حضر عثمان مجالس العلم التي كان يعقدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إلى جانب مجالس أخرى لشيوخ وعلماء بارزين.

تأثر عثمان، القادم من غرب أفريقيا، بتلك الدعوة الإصلاحية، ما دفعه إلى البقاء في مكة فترة أطول ممّا كان مخططًا له، حيث أعاد النظر في كثير من معتقداته ومفاهيمه حول الدين الإسلام، هذه الفترة كانت محطة هامّة في تصحيح مفهومه للدين، حيث كان يتبع الطرق الصوفية ويمارس بعض البدع التي عاد لينبذها لاحقًا في مسيرته الإصلاحية.

بعد عودته من مكة إلى إقليم جوبير شمال نيجيريا، بدأ بدعوة سكان الإقليم إلى التوحيد، ونبذ البدع والاعتماد على الكتاب والسنّة، وتنقية الدين من البدع ومظاهر الشرك، والعودة إلى منهج السلف الصالح لما رآه من فساد مجتمعه الذي انتشر فيه الجهل والفسق، فاستجاب لدعوته كثير من أبناء قريته، فأسّس حركة دعوية أطلق عليها اسم "الجماعة ."

خرجت دعوته من النطاق المحلي الضيق إلى النطاق الإقليمي الواسع، وبدأت بالانتشار بين القبائل الأفريقية في غرب القارة، ودخل فيها أفراد من عدّة فئات كالهوسا والطوارق والزنوج، فضلًا عن أبناء قومه من الفولاني الذين سيصبحون عماد الدعوة وقوتها الضاربة.

حققت دعوة الشيخ نجاحًا كبيرًا في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية المنتشرة في المنطقة الواقعة بين نهر النيجر وبحيرة تشاد (شمال نيجيريا حاليًا)، وبفضل جهوده تمكن بسرعة من تأسيس دولة إسلامية في تلك المنطقة، ما أثار العداء ضده من قبل ملوك ممالك الهاوسا الذين شعروا بالتهديد من انتشار دعوته.
اخذ الشيخ في الدعوة إلى الدين الإسلامي صحيح وتطهير عقائد الناس من الشرك والخرافات وإتباع سلوك السلف الصالح وكانت وسيلته في ذلك التعليم والوعظ والإرشاد ،وفي سبيل نشر دعوته تجثم الصعاب فشد ألرحال متنقلا بين المدن والقرى داخل بلاد الهوس ا ليطلع بنفسه عن كثب عن جوانب الحياة المختلفة التي يعيشها الناس ليستبين أساليب نشر الدعوة وإرساء قواعدها، ولكسب الناس وإصلاح المجتمع كان الشيخ عثمان يتجنب ملاقاة اصحاب النفوذ والسلطان ولا يتعامل معهم ولا يتدخل في أمورهم السياسيه ، بل تفرغ لتربيه الناس وتوجيههم شارحا لهم قواعد الاسلام بأسلوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مركزا على مهاجمه رذيلتين انتشرا في المجتمع وهما : شرب الخمر وفساد الأخلاق، وفي خ ظم هذه الانشغالات دعاه "باو ا "ملك جوبير إلى البلاد ليعلم أبناءه فزاد هذا من شهرته وذاع صيته وارتفاع مكانته بين ألعامه والخاصة، اتخذ الشيخ عثمان من بلدته منطلقا لنشر دعوته وقد ساعده في ذلك نفر غير قليل من الأتباع والتلاميذ المخلصين الذين امنوا بأفكاره ودعوته الاصلاحية .
كما كانت له مراسلات مع زعماء وشيوخ الفلاني يشرح لهم فيها أفكار أو داعيتهم الرجوع إلى التعليم الدين الإسلامي وتطبيقها في حياتهم.

بويع الشيخ عثمان من قبل أتباعه كـ"أمير للمؤمنين"، معلنين بذلك بداية خلافة صكتو، قبل أن ينشئ بنية سياسية قوية، حيث كوّن مجموعة من العلماء والدعاة من بين أتباعه الذين تولوا نشر العلم وإدارة شؤون الدولة

*ركائز الدعوة ومنهج التعليم

ركز الشيخ عثمان منذ بداية انطلاق دعوته على خمسه ركائز خماسيه الشيخ عثمان حدث الناس فيها بفاضه متعرضة بالشرح الوافي لكل لتفاصيلها ودقائقها وهي:

أولا فروض الشريعة الا سلاميهمن الأصول والفروع الظاهر منها والباطن

ثانيا التمسك بالسنة النبوية الشريفة والتخلي على البدع والانصراف عن فعل المنكر

ثالثا إخماد الفتنه وقبر ألبدعه والقضاء على الأباطيل والخرافات التي أحدثها الناس في الدين الإسلامي والابتعاد عن ممارسه العادات والتقاليد المخالفة للشرع

رابعا التركيز على تعليم العلوم عامه شرعيه منها خاصة بأساليب ميسورة مبسطه للتقريب من أذهان العوا م وتوظيفها لحل مشاكلهم.

خامسا رد الأوهام وتصحيح الآراء المغلوطة في أذهان الطلاب مما قرؤوا وتلقوا في علم الكلام وتكفيرهم لعامه الناس دون دليل أو سند شرعي لاسيما ان بعض العلماء الأفارقه حرموا التزواج مع ألعامه وأكل ذبائحهم

عالج الشيخ عثمان هذه الأفعال و الممارسات المنافية للشريعة الاسلاميهوأكد حقيقة وصحة إيمان ألعامه ووضح ان اهتمام الطلب ة بهذه الامور وانغماسهم في مثل هذه الأفكار والمجابهات تشغلهم عن العلم والدرس وتحول بينهم وبين الدعوة إلى كتاب الله وسنه رسوله الكريم ،اما فيما ميادين التربية والتعليم فعلى ما يبدو ان الشيخ كان على دراية ومعرفه بعلم النفس والبيداغوجيا ألحديثه إذ كان يعقد في حل في حله ترحلاه مجلسين للتوجيه والوعظ والإرشاد احدهما للعامة وثانيهما للخاصة من تلاميذه العلماء الذين يفدون عليه ويلازمونه وتختلف المناهج والطرق الأساليب والموضوعات التي كان ينتهجها ويطرقها للعامة عن تلك التي يسلكها مع الخاصة فيراعي فيها التدرج والتعقيد.

*بداية الجهاد انطلق الجها د في صائفة سنه 1804 اذاوقعت أول مواجهه حاسمه بين قوات الجهاد الا سلاميهالتي كان يقودها عبد الله بن فو دي الذي اخلي مواقعه في جو دو تخوفا من مباغتة خصومه فتقدم نحو بحيرة تايكين كوتو وعلى ضفافها أطبق المجاهدون على حشود خصومهم وأوقعوا بها هزيمة منكرة وسقط الكثير من عبدة الأوثان وتفرق شمل قوات الأعداء غير أن النصر لم يكن حاسما وسرعان ما لملم المشركون شتاة قواتهم واستعدوا مجددا للقتال وفي العام الموالي 1805 وشرعت قو ات الشرك الحكومية تشن غارات متتالية على المجاهدين

ووقعت موقعة حامية الوطيس وهي معركة تسونسو التي خسرها المسلمون وذهب ضحيتهما ما يربوا على الألف شهيد

لكن قوات عثمان سرعان ما ضمدت جراحها ونفضت عنها غبار الهزيمة وصدت الهجوم بنجاح واستمرت الحرب بين الطرفين سجالا وفي الأخير تمكن المسلمون من إحراز النصر على خصومهم في 1809 وتم قتل يوفا وإتباعه وانتهت بذلك مقاومه الو ثيين هي العليا في البلاد وأعلن الناس تأييدهم وطاعتهم للشيخ واقبلوا عليهم مهللين مكبرين تغمرهم الفرحة ويعمروا نفوسهم السرور وكانت جيوش عثمان قبل الزحف تقرا آيات جهاد وسوره براءة لتقويه الروح المعنوية

وبفضل الدعوة وجهاد توسعت رقعه دوله الفلاني وانضمت إليه الإمارات جديدة وأعطى الشيخ الاذن والشارات والأعلام إلى أعوانه الذين واصلوا حمل لواء الجهاد في جميع أصقاع بلاد ألهوسه ودخل الناس في دين الله أفواجا فاستقرت أحوال البلاد واستقامة أمور العباد وفي عام 1809 انتقل الشيخ إلى مدينه سي غاده بينما مكث ابنه محمد بولو في مدينه سكو تو التي تحولت فيما بعد إلى عاصمة للدولة

وجمله القول ان الدور الثاني من مسيره الشيخ عثمان كان ضروريا أساسيا ببناء ألدوله وإصلاح المجتمع من خلال هذه المرحلة الحاسمة من عمره وعمر حركته الاصلاحيه والدعوية والجهادية ان يجند حوله الآلاف من الا فارقه الذين امنوا بدعوته واعتنقوا الاسلام على يده ان يهزوا أركان الدول والإمارات الوثنية التي كانت داعمة للكفر والفساد الاجتماعي والأخلاق الذي ساد وتغلغل بين سكان غرب إفريقيا

وبعد السيطرة على ممالك الهاوسا، انطلق الشيخ عثمان في ضمّ شعوب المنطقة ككل تحت رايته، وبدأ بالتوسع في ناحيتَي الغرب والجنوب الغربي، حيث قبائل اليوروموبا الكبيرة والكاميرون وبلاد الماسنيا (مالي)، وصولًا إلى مملكة برنو التي لم تصمد في وجهه .

خلافة سوكوتو

وبعد تتالي الانتصارات، تحول معسكر صكتو شبه الدائم إلى مدينة وعاصمة لحكم المملكة الجديدة، وعيّنَ الأمير عثمان العديد من الأمراء لمساعدته في حكم المناطق المسيطر عليها، وكان هؤلاء الرجال غالبًا من قدامى المحاربين في حروب الفولاني ومن العلماء.

أنشأ الشيخ عثمان **نظامًا** سياسيًا واقتصاديًا موحدًا أثناء نشر حركته الإسلامية الإصلاحية، تهدف إلى تصحيح الممارسات الإسلامية السطحية في المنطقة، وكانت الخلافة تدار كاتحاد لا مركزي للإمارات تحت إشراف الخليفة وحاشيته في العاصمة .
توفي عثمان بن فودى عام 1818 بعد صراع مع المرض لمدة عام عن عمر الـ 63، للتوالى عدة أسماء في خلافته حتى عهد الخليفة السادس **أحمد الرفاعي**) حكم فترة 1867-1873)، حيث وصلت خلافة صكتو إلى أقصى اتساع لها، وغطت مساحة كبيرة من غرب أفريقيا -تمتد من بوركينا فاسو الحديثة إلى الكاميرون وتضمّ معظم شمال نيجيريا وجنوب النيجر-، وربطت أكثر من 30 إمارة مختلفة، وأصبحت واحدة من أكبر الولايات الإسلامية في القارة الأفريقية.
لم تعتمد خلافة صكتو على جيش نظامي، لكنها حمت حدودها الواسعة من خلال مواقع استراتيجية أو معاقل، وعمدت إلى حل النزاعات عبر المسؤولين المحليين، مع استخدام المحاكم لتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، كما عمل الموظفون المحليون لحفظ الأمن.

تقول بعض المراجع التاريخية إن المملكة شكّلت أكبر نظام سياسي مستقل في القارة في ذلك الوقت، وكانت الدولة الأكثر تطورًا في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى ما قبل الحداثة، وكانت الخلافة عبارة عن اتحاد كونفدرالي من الإمارات التي اعترفت بسيادة أمير المؤمنين، سلطان صكتو.

اعتمدت الخلافة في إدارتها للقضاء على أُسُس مذهب الإمام مالك (نسبة إلى الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة)، كما ركّز حكّام البلاد على الجانب التعليمي ومنحوه أهمية كبرى في مشروعهم الإصلاحي، فانتشرت اللغة العربية في المنطقة وأصبحت لغة أغلبية الشعب.

وأسّست الخلافة عددًا من المدن الجديدة ذات الحصون الكبيرة والمدارس والأسواق والمباني الأخرى، ورحّبت بالسكان الجدد القادمين من المناطق المجاورة، كما أنشأت الخلافة طرقًا وأسواقًا تجارية جديدة في المنطقة، ما ساهم في دعم الاقتصاد.[1]

[1] https://www.noonpost.com/229586jh - تاريخ وساعة الاطلاع يوم 22/04/2022 على الساعة 21:52

Futa Toro
Nioro
Timbuctu
Masina
Bamdallahi
Jenne
Segu
Futa
Jallon
Dingisoey
Sokoto
Sokoto
Gwandu
Ilorin